تغريدات عربية

كتاب جديد يتناول إشكاليات الحرية والديمقراطية ومعوقات التنمية في العالم العربي

ضمن سلسلة إصدارات دار الشرق للطباعة والنشر، صدر حديثاً كتاب «تغريدات عربية» من تأليف الدكتور خالد الجابر رئيس تحرير «جريدة البنتسولا اليومية، وأستاذ الاتصال السياسي في برنامج دراسات الخليج في جامعة قطر.

يحتوي الكتاب الذي يتوزع على (444) صفحة باللغة الانجليزية من الحجم المتوسط، على مجموعة من الدراسات والبحوث والمقالات التي تتناول الأوضاع والإشكاليات التي تتعلق بالتنمية والديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات في دول الخليج والعالم العربي خلال العقود الأخيرة الماضية وصولاً إلى اللحظة الراهنة؛ أو ما أصبح يعرف عنها اصطلاحاً مرحلة ما بعد «الربيع العربي». وإيماناً بمبادرة الأمم المتحدة حول حرية تداول المعلومات وسهولة الوصول إليها، سيتم توفير جميع محتويات الكتاب مجاناً على موقع «كتب جوجل».

د. باعبود: الكتاب يشكل إضافة قيمة إلى معارفنا وفهمنا لقضايا المنطقة

وقد قام الدكتور عبدالله صالح باعبود، مدير مركز دراسات الخليج بكلية الآداب والعلوم في جامعة قطر، بكتابة مقدمة الكتاب، وقال د. باعبود إن الكتاب يغطي مجموعة واسعة من أهم قضايا الساعة التي تتوزع على نطاق جغرافي واسع، لتعكس تنوع اهتمامات المؤلف وسعة معارفه. وكاكاديمي متمرس وصحفي محترف، استطاع الدكتور خالد أن يمزج بين فكره الأكاديمي والأفكار التي يطرحها بعمق عند كتابة أطروحاته ومقالاته الصحفية بلغة سهلة وسلسة قابلة للفهم يستوعبها القراء من خلفيات ومستويات متباينة. وبذلك تمكن من تقديم ما يتم مناقشته في الدوائر الأكاديمية المغلقة، وما يدور في حلقات النخب الفكرية والعلمية إلى الجمهور، فكسر بذلك كل الحواجز القائمة بين ما هو أكاديمي ونخبوي من ناحية والجمهور من ناحية أخرى.

وأشار د. باعبود إلى أن د. الجابر كتب على سبيل المثال لا الحصر عن المثقفين العرب، والربيع العربي، والثورات، والديمقراطية والإصلاح العربي، وعن الإعلام، والنخب العربية، والإسلام السياسي، والخوف من الإسلام، والعنف والتطرف، والهوية الوطنية، وقضايا الثقافة والجندر، والأطفال، وحقوق الأقليات والهجرة، وغيرها من القضايا. وتجاوزت كتاباته الشؤون السياسية والإجتماعية والثقافية لتتناول العديد من المشكلات الاقتصادية والتنموية على الصعيدين الإقليمي والدولي.

وأكد د. باعبود أن الكتاب يشكل إضافة قيمة إلى معارفنا وفهمنا لقضايا المنطقة. وأن القارئ سيجد في أفكار الدكتور خالد وقوة بصيرته فائدة عظيمة، خاصة وإنها تأتي من شخص ينتمي إلى المنطقة وعلى دراية بمشاكلها وهمومها، وهو ما يجعلني أوصي بقراءته والاستفادة من الرؤى والأفكار التي تضمنها بشان مختلف قضايا المنطقة.

من أهم ما يتناوله الكتاب القضايا المعاصرة والأطروحات الفكرية والجدلية عن الحرية واستحقاقاتها وقضاياها ومعاركها، ويشير المؤلف إلى أنه لم توجد ديمقراطية حقيقية في أي دولة عربية، لا تلك المحكومة بالنظام الجمهوري ولا الملكي ولا العائلي ولا القبلي كما هو حاصل في دول الخليج. ومن عصر الاستقلال حتى الآن الاستعمار وبداية تكوين الدول وحدودها طرحت الديمقراطية وإشكالاتها نظرياً وليس عملياً شعاراً فضفاضاً وليس خياراً شعبياً. وتحول إلى رداء بال ؛ كل نظام يفصله على مقاسه لكي يكسب الدعم والمناورة والتحرك الخارجي وممارسة الخداع والاستمرار في التحكم في مفاصل السلطة والسيطرة على مقادير الحكم والشان الداخلي!

وينوه بأنه يخطيء من يظن أن الحرية آتت في دول العالم المتقدمة وبالتحديد في أوروبا على طبق من فضة، أو بين ليلة وضحاها عن طريق رغبة ملك أو أمير أو قائد رباني ملهم، أو حاكم "المستبد العادل" كم هو خطاب (الواهمون) (العدل لا يجتمع مع الاستبداد). لقد كان كل من يتجرأ على التفكير والتعبير والكتابة بطريقة مختلفة لا توافق أهواء السلطة الدينية الكنسية والسلطة السياسية المتكية الإقطاعية يرسل إلى المحرقة ويعتبر مهرطقاً خارجاً عن ملة الرب. لقد عاش كبار الفلاسفة والمفكرين والمثقفين خارج أوطانهم منفيين وهاربين من بلد أوروبي إلى آخر، وكانت كتبهم ومؤلفاتهم ورسائلهم تنشر بأسماء مزيفة ومستعارة حتى وبدون أسماء خوفاً من مقصلة الرقابة والجواسيس والملاحقة والقتل. مع ذلك كان الإيمان والعمل على بزوغ فجر جديد مغاير يملأ السمع والأبصار والأفئدة لتلك العصبة المؤمنة من القوم، وهو ما بدد ساعات الظلمة ودشن عصر الأنوار والتنوير، ومن أبرز هؤلاء النفر يأتي فولتير ورسائله المشهورة، الرسائل التي أرست أسس النضال من أجل الحريات الثقافية والدينية والسياسية، النضال من أجل العقل والفكر والتعبير، ومن أجل حقوق الإنسان بغض النظر عن لونه وعرقه ومعتقداته. فولتير صاحب المقولة الرائدة: "قد أختلف معك في الرأي لكني على استعداد لأن أموت دفاعاً عن رأيك"، أحد الكبار الذين خاضوا المعارك الكبرى، ووقفوا في وجه التعصب والتزمت، وهي التي أطلق عليها "الوحش الضّاري"، ليدافع عن أسرة "كالاس" البروتستانتية إذ تعرّضت إلى الاضطهاد والتّنكيل بسبب انتمائها المذهبي من قبل الغالبية الكاثوليك.

وعن مرحلة تداعيات ثورات "الربيع العربي" يستشهد الكاتب بالمثل الانجليزي الذي يقول إن "طائر سنونو واحد لا يجلب الصيف" (One swallow does not make a summer)، وهو ينطبق على انتفاضات الشوارع العربية التي قد تم تأن بالديمقراطية المثالية كما نتصورها، لكنها مثلت أملاً في أن التغيير قادم مع قدوم طائر السنونو العربي الثائر حتى لو تعثر قطار "الربيع" ووقفت في وجهه الثورة المضادة. ويشير أنها لم تأت حصرا على شكل انقلاب على ديكتاتور استباح الوطن لعقود طويلة ولا يزال يرغب في الاستمرار في الحكم لمدة أطول ويورثه من بعده إلى أولاده أو عشيرته أو قبيلته أو طغمته. بل هو انقلاب تام على مرحلة تاريخية مظلمة عاش فيها الوطن والمواطن في كهوف وسجون تحت الأرض وفوقها، ورغم الصراخ والأنين والشكوى والضيم والمذابح والجوع والفقر لسنوات عجاف، لم يتحرك أحد لا في الداخل ولا الخارج.

ولم يتغير الحال بل ظل القابضون على السلطة والمقربون منها والمطبلون لها هم الأسياد في وسط مدينة تحول سكانها إلى خدم وعبيد؟! مدينة أشباح تتماهى مع مدينة "وينستون سميث" (Winston Smith) الكئيبة، في رواية الكاتب الانجليزي جورج اورويل (George Orwell) الشهيرة (1984)، حيث تختفي الماضي والحاضر والمستقبل مجموعة حقيرة من الساقطين والجواسيس والمنافقين، واي شخص يرغب بتحدي قبضة السلطة والتسلط والرقابة ينتهي إلى حبل المشنقة، فكل من يعيش في عالم "الاخ الأكبر" (Big Brother) وقوانينه، وجب عليه الخضوع والخنوع والتعاون والخيانة. وكل الخيارات الأخرى ملغاة، فلا صوت يعلو فوق صوت السلطة وقراراتها؟! الرئيس أو الملك أو الأمير أو الإخ الأكبر في الرواية هو الحاكم الأمر الناهي المفكر والمفتي والمشرع، هو شخصية مستبدة، لكن لا أحداً يعرف أين كانت شخصية حقيقية موجودة تحكم فعلاً أم أنها مجرد خيال، والذين يديرون السلطة هم مجموعة تعيش في الظل أو ما وراء الستار. الإخ الأكبر صنع له عالماً خاصاً يختلف عن العوالم الاستبدادية النمطية، عالم له أيديولوجياته وأفكاره وشعاراته وتسمياته وهتافاته الخاصة به وحده، له منطقه الخاص في فهم السلطة وأدواتها وتطبيقها على الشعب بطريقة تضمن له الاستمرار والسيطرة والقضاء على كل من يفكر في التغيير والإصلاح نحو الأفضل، لأنه ببساطه الإصلاح والتغيير يعني زوال النظام الديكتاتوري إلى الأبد.

وينوه الكتاب إلى أن الثورات العربية التي خرجت للشارع في تحد لجبروت النظام وأدواته وأسلحته الفتاكة وديابانه العتيدة وجيوش المرتزقة والشبيحة، أقرب لترنيمة رواية "الحرب والسلام" (War and Peace) حيث بلغي تولستوي (Leo Tolstoy) دور الفرد الذي تم تضخيمه في دفاتر التاريخ التي سطرها كتاب السلطان، ويقدم روح الجماعة، فالتاريخ هو الناس التي تصنع الأحداث، وهو الشعب الثائر من رحم المعاناة الذي يهزم الديكتاتور ونظامه وجيشه العتيد الجبار، والذي كانت تعجب به الطبقة الارستقراطية المتخمة والفاسدة في روسيا في حديثها عن نابليون ومسيرته (حيث استطاع وهو عسكري برتبة ملازم أن يصبح امبراطورا)، وكان تولستوي يقدح فيها ويشكك في لاولها لوطنها وانتمائها لثقافته وهي تذكرنا بالكثير من الكتاب العرب. لقد بين تولستوي الفرق بين الهزيمة أمام نابليون في الحرب في النمسا والانتصار في روسيا. فالحرب الأولى لم تكن حرب وطن وشعب، بل حرب طبقة وفئة تستغل الشعب وتحركه لمصالحها الذاتية.

كما فشلت بعض الثورات العربية التي حملت أجندات خارجية. لكن في روسيا كانت المعركة بقودها شعب تجاوز الخوف والألم والمعاناة وخاض المعركة وانتصر فيها بمجابهة الديكتاتور في الخارج بعدما حارب الديكتاتورية في الداخل، كما انتصر الشعب في تونس ومصر على نظام الديكتاتور، فلن يتحرر الوطن من الخارج إلا بعد أن يتحرر من الداخل. والفرق بين المثقف الحقيقي والمزيف عشناه في ختام مسيرة تولستوي "محطة الهزيمة الأخيرة" (The Last Station)، في تخليه عن صفته كاحد النبلاء والانضمام إلى عامّة الفلاحين،

وترك كل ما يملك ليتفرغ لحياة الكفاح والاكتفاء بعيشة الكفاف بحثا عن صفاء النفس والسمو بها عن ملذات الدنيا وتخليصها من شوائب المادة ليختصرها في مقولته الذهبية الخالدة: "إن الثروة تفسدنا"، وهو درس لكل المنافقين والمتاجرين والمنافحين عن السلطة ومساحي الجوخ والأحذية في الدول العربية الذين شاهدناهم يستميتون في وسائل الإعلام والمحطات الفضائية وفي وسائل الإعلام الجديدة ومواقع التواصل الاجتماعي للمنافحة عن بن علي الهارب من تونس والنهيار حكم مبارك المريض في مصر ولا يزالون يدافعون عن المراوغ غير الصالح في اليمن، والأسد التائه والمحاصر في قفصه! وكل ذلك لأجل ثمن بخس وتقرب من السلطة. وعن الأوضاع والتحديات الإقليمية

يشير الكاتب إلى أن المنطقة وما حولها تعيش مرحلة مخاض سياسي كبير. وتفاعلات وتغيرات داخلية وخارجية عميقة، تطول حركة الشارع و مرحلة إعادة صياغة مفاصل الدولة ومؤسسات المجتمع، ومستقبل نظام القيم السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية الحاكمة، وإعاد إنتاج مفاهيم حديثة علمية جديدة وهو أشبه بالمقارنة ما بين المصباح الكهربائي والمصباح العادي، كما يشير الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار، فعلى الرغم من أنه لا توجد علاقة تكوينية بينهما، ولكنهما يتماثلان من حيث إنهما يضيئان عند سقوط الظلام. أي إن هدفهما واحد وصورتهما التركيبية مختلفة، وعندما نفكر بطريقة علمية في كيفية عمل المصباح الكهربائي، فلا يمكن مقارنته بعمل المصباح العادي، بل انطلاقا من دراسة علمية تقوم بدراسة العلاقات بين مجموعة من الظواهر، وهو ما يميز علم (الاستمولوجيا). في منطقتنا تجريتين التركية والإيرانية، التجربة الإيرانية تمثل المصباح القديم، الذي يعمل عن طريق الفتيلة لها أتباعها وخصومها في العالم العربي، والفئة الأولى تؤمن أنها تجربة إسلامية خالصة، وإن كانت من مذهب مخالف وهو المذهب الشيعي، وهي شبه مقاربة لمنهج الخلافة الإسلامية.

كما أنها تتبنى قضايا الأمة الرئيسية، وأهمها تحرير فلسطين ودعم المقاومة في حماس، واستقرار النظام في سوريا، وحزب الله لبنان.. والفئة الثانية تناهض ولاية رجال الدين، والفكر الإيديولوجي الديني على مقدرات الدولة، وتعتبرها مرادفاً للاستبداد، والديكتاتورية، وفساد الحكم، واحتكار السلطة، وعودة لعهود الظلام والتسلط، سواء لشخص أو مجموعة أو حزب أو دولة أو إمبراطورية كالفارسية، لكن بغطاء ديني.. في الجانب المقابل تطل التجربة التركية على العالم العربي بعد غياب دام عقوداً طويلة، بتجربتها وأساسياتها الانفتاحية الجديدة وبأخطائها أيضاً. التجربة التركية اليوم حافلة بالحيوية والنشاط، من مجتمع تعددي باعراقه، وديناته، ومذاهبه، إلى سياسي متوازن لحد كبير، من: فصل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية.. إلى مدني ، من: إتاحة الحريات العامة، وحرية الصحافة والتعبير والإعلام وحرية الرأي والاحتجاج والمعارضة السلمية، وعند نشوب خلافات عاصفة وأزمات حادة بين أطراف نظام الحكم والمؤسسة العسكرية الحامية، يتم الرجوع إلى المؤسسات الشرعية في القضاء والبرلمان والمحكمة الدستورية العليا، عوضاً عن الانقلابات، والتدخلات العسكرية، والمؤامرات، التي شهدنا ولا نزال في العالم العربي، أما عن أهم التحديات التي تواجه مجلس التعاون الخليجي.

يذكر الكتاب أن هناك شعوراً بأن دول الخليج تتهرب من الاستحقاقات التي تفرضها طبيعة المرحلة الحرجة في العالم العربي في مواجهة التحديات والدخول في عملية التغيير قبل أن يفرض عليها وهي كلها مسألة وقت لا أكثر. لذلك لابد من الدخول في الانفتاح على المجتمع وإطلاق العملية السياسية لكل دولة، وتفعيل الخيارات الديمقراطية وإنشاء البرلمانات المنتخبة أو الغائبة منها في أكثر الدول أو المعطلة والمحاربة في دول أخرى، وتعزيز دور المشاركة الشعبية ودور المؤسسات والمجتمع المدني، وضمان دولة القانون واحترم حقوق الإنسان وحقوق الأقليات، ووجود نظام اقتصادي عالمي قادر على التعامل مع المنافسة الموجودة، وان لا يتم الحديث عن امنيات يتم من خلالها توظيف عامل الخوف والهواجس من الآخر في الداخل والخارج.

الجدير بالذكر أن د. الجابر حصل على الدكتوراه من جامعة ليستر في المملكة المتحدة، وعلى الماجستير من الولايات المتحدة. كما حصل على شهادة الدبلوم العالي من جامعة فورد هام، جامعة ستانفورد، وجامعة جورج تاون بالولايات المتحدة. و صدر له العديد من الكتب والمؤلفات العلمية في المجالات الاكاديمية والمهنية.

د. الجابر: الثورات العربية أقرب لترنيمة «الحرب والسلام» لتولستوي.. والمعركة مازالت في البداية

التغيير في العالم العربي قادم حتى لو تعثّر قطار «الربيع» ووقفت في وجهه الثورة المضادة

المنطقة تعيش مرحلة مخاض سياسي كبير.. وتفاعلات وتغيرات عميقة.. ستعيد صياغة مفاصل الدولة والمجتمع والإنسان

□ د. عبدالله صالح باعبود

□ د. خالد الجابر

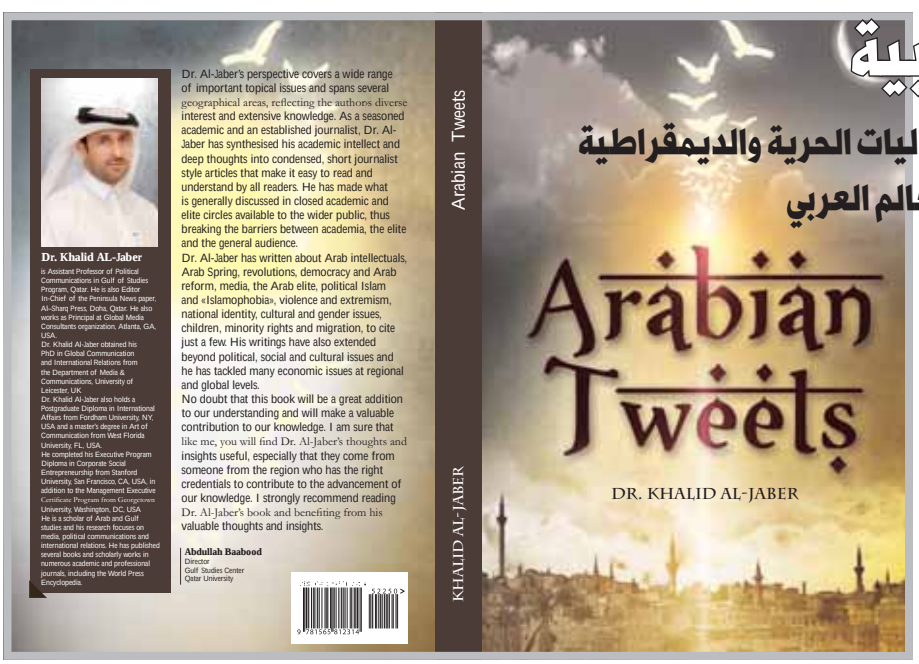

Dr. Khalid AL-Jaber

is Assistant Professor of Political Communications in Gulf of Studies Program, Qatar. He is also Editor In-Chief of the Peninsula News paper, Al-Sharq Press, Doha, Qatar. He also works as Principal at Global Media Consultants organization. Atlanta, GA, USA.
Dr. Khalid Al-Jaber obtained his PhD in Global Communication and International Relations from the Department of Media & Communications, University of Leicester, UK.
Dr. Khalid Al-Jaber also holds a Postgraduate Diploma in International Affairs from Fordham University, NY, USA and a master's degree in Art of Communication from West Florida University, FL, USA.
He completed his Executive Program Diploma in Corporate Social Entrepreneurship from Stanford University, San Francisco, CA, USA, in addition to the Management Executive Certificate Program from Georgetown University, Washington, DC, USA
He is a scholar of Arab and Gulf studies and his research focuses on media, political communications and international relations. He has published several books and scholarly works in numerous academic and professional journals, including the World Press Encyclopedia.

Dr. Al-Jaber's perspective covers a wide range of important topical issues and spans several geographical areas, reflecting the authors diverse interest and extensive knowledge. As a seasoned academic and an established journalist, Dr. Al-Jaber has synthesised his academic intellect and deep thoughts into condensed, short journalist style articles that make it easy to read and understand by all readers. He has made what is generally discussed in closed academic and elite circles available to the wider public, thus breaking the barriers between academia, the elite and the general audience.
Dr. Al-Jaber has written about Arab intellectuals, Arab Spring, revolutions, democracy and Arab reform, media, the Arab elite, political Islam and «Islamophobia», violence and extremism, national identity, cultural and gender issues, children, minority rights and migration, to cite just a few. His writings have also extended beyond political, social and cultural issues and he has tackled many economic issues at regional and global levels.
No doubt that this book will be a great addition to our understanding and will make a valuable contribution to our knowledge. I am sure that like me, you will find Dr. Al-Jaber's thoughts and insights useful, especially that they come from someone from the region who has the right credentials to contribute to the advancement of our knowledge. I strongly recommend reading Dr. Al-Jaber's book and benefiting from his valuable thoughts and insights.

Abdullah Baabood
Director
Gulf Studies Center
Qatar University